5

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



اهداءات ٢٠٠٢

مركز العالمية لدراسات و ابحاث الكتاب الاخضر

ليبيا

سلسلة روايات الشباب 5

الخضراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى

1988 م.

هاتف: 40705 - 45565 ـ مبرق: 20032 - 20668

ص.ب: 80984 ـ طرابلس ـ الجماهيرية

شىء يفوق الوصف ذلك الفرح الذى ملأ دنيا الخضراء. كل شىء ينضح بالحركة والحب والحياة. عادت الأغانى تصدح فى سماء الحقول أيام الزرع والحصاد... بعدما عاد أهالى الخضراء ليعانقوا ذكرياتهم مع الأرض، يسقونها من عرقهم المالح فتطعمهم من جناها اللذيذ. عادت الأفراح إلى الخضراء، تشهد كل صباح فرحة جديدة. كثرت

الأعـــراس والـــولادات، ومــن غـــريب المصادفات أن عدداً من النساء ولدن توائم فى الأسبوع نفسه، قال محمود لصديقه حميد: الخصب عدوى والقحط عدوى والأرض تنقــل عــدوى الخصب إلى الإنسان، أجاب حميد: بل الإنسان هو الذى ينقل الخصب إلى الأرض، هو الذى يعـطى والأرض تتلقى، وإن لم تجـد الأرض من يعتنى بها، ستصاب بالقحط، ضحك محمود وقال: لن نختلف على من يكون الأصل البيضة أم الدجاجة...! هناك من يقول بأن البيضة وجدت قبل الدجاجة وهنالك من يرى العكس وهو أن الدجاجة وجدت قبل البيضة...

كان حميد معروفاً بالعناد فقال جاداً: بل البيضة وجدت قبل الدجاجة... تنهد محمود وابتسم قائلاً: لا يهمنى من يكون

الأسبق، المهم أن أجد بيضاً أقليه ودجاجاً أشويه . . .

قطع حديث الرجلين جلبة نقاش حاد فى الغرفة المجاورة، حيث كانت زوجة محمود راضية تتحدث مع زوجة حميد صفيَّة . قالت صفية: أنا لا أصدق، ما تقولين إنه كذب بكذب، أجابت راضية:

احترمى ضيوفك هذا ما قالته أم العريس، عشر ليرات ذهبية، وساعتان ذهبيتان . . و . . . ضاقت صفية ذرعاً وصرخت: متى صارت الأفعى حمامة سلام، ومتى صار اللئيم كريماً. ومتى تحول الخنزير إلى . . . قاطعتها راضية بالقول: إذهبى وسلى الناس فى الخضراء، قلت اننى أنقل ما سمعته، ولست كاذبة . . .

دخل محمود وصديقه حميد إلى الغرفة المجاورة، وبادر محمود زوجته بالسؤال:

* علام هذا الصراخ... ما هى القضية الكبيرة التى تختلفان عليها. ثم تدخل حميد وأضاف موجهاً كلامه إلى زوجته: وأنت يا راضية، ما شأنك بالعريس والعروس والذهب. الناس أحرار فى بيوتهم، قالت صفية بلهجة واثقة: إذا قيل لكم إن أبا الذهب دفع نقوطاً لابن فلان بمناسبة زواجه... هل تصدقون ذلك... أجاب محمود: أنا لا أصدق لو رأيت ذلك بعينى، ضحكت صفية بخبث وقالت: صدق أو لا تصدق، أبو الذهب قدَّم هدايا ثمنية للعروسين، وليست هذه المرَّة الأولى التى يقدِّم فيها أبو الذهب الهدايا... وإن أردت التأكد من ذلك فبإمكانك سؤال العريس نفسه، فرك

محمود جبينه بيده وقال: إن كان هذا الكلام صحيحاً يكـون أبو الـذهب قد أصيب بمس من الجنون، هذا كلام لا يقبله عقل إنسان عرف أبو الذهب أو سمع عنه... وعلى أى حال فلو قدم لى أبو الذهب كل ما يملك كهدية فلن أقبل منه شيئاً، ثم وجَّه كلامه إلى صديقه حميد ضاحكاً: هل تذكر يا حميد ذلك الكلام الذى حفظناه فى المدرسة ومطلعه:

برز الثعلب يوماً فى ثياب الصالحين

هذا الثعلب هو أبو الذهب نفسه، إنه يلبس ثياب الصالحين، ويبدو بملمس ناعم تماماً كالأفعى. لم يجب حميـد بكلمة واحدة، ظلَّ صامتاً، خرج محمود وزوجته مودعاً... قالت زوجـة حميد بصوت عالٍ تريد إسماع زائرتها التى لم تكن قد برحت الدار بعد:

غريب أمر بعض الناس فى الخضراء، إذا أخذ منهم أبو الذهب قالوا: هذا حقّنا وثاروا عليه وإن أعطاهم تساءلوا لماذا يعطينا أو اتهموه بالجنون...

خرج أبو الذهب من عزلته إنساناً جديداً. وصار حديث أبناء الخضراء جميعاً وانقسم الناس فى فهم أبى الذهب. أبو الذهب نفسه لم يدع مناسبة تمر إلاَّ وغمر أصحابها بالعطاء والهدايا، قال يوماً وفى مناسبة زفاف أحد شباب الخضراء: أنتم تعلمون أننى لم أرزق أولاداً وأنا أعتبر أن أى شاب فى الخضراء هو بمثابة ابنى، وما أقدمه لكم ليس سوى دين لكم فى ذمتى... إننى أكفِّر عن السيئات التى اقترفها بحق أبناء الخضراء مدير أعمالى مرتزق...

رزق حميد بمولود جديد فذهب

محمود وزوجته لتقديم التهانى. كان بيت حميد يعج بعدد كبير من أبناء الخضراء الذين قدموا للتهانى . . . كانت فرحة حميد كبيرة، فقد رزق بمولود ذكر بعدما أنجبت زوجته ست بنات على التوالى.

دخل مرشد مدير أعمال أبى الذهب إلى بيت حميد، ألقى التحية، ثم ابتسم ووجه كلامه إلى حميد قائلاً: باسمى وباسم سيدى أبى الذهب نتقدم بالتهانى لك ولزوجتك بالمولود الجديد، متمنين له العيش الرغيد تحت جناح حنان الأبوين، لقد كانت فرحة سيدى كبيرة، وقد أراد التعبير عن مشاركته لكم بفرحتكم بهذه الهدية. ثم قدَّم كيساً من النقود الذهبية إلى حميد. . . لم يستطع حميد مقاومة إغراء أبى الذهب فتناول الكيس من مرشد وقال: شكراً لك ولأبى الذهب يا مرشد،

بلِّغ تحياتى وشكرى لسيدك. حاول محمود إخفاء غيظه فالتفت إلى مرشد وسأله: كيف حال أبى الذهب، فى هذه الأيام؟ أجاب مرشد: أبو الذهب بخير وعافية، يسأل خاطرك، وفى أول مناسبة سيقدِّم لك هدية تليق بك... لم يستطع محمود إخفاء غضبه فقال موجهاً كلامه إلى مرشد من دون أن ينظر إليه: لو كانت الحياة هدية من يد سيدك فلست مستعداً لقبولها، أخبر سيدك هذا الكلام عن لسانى، ثم التفت إلى الحضور وتابع حديثه: أبو الذهب يقدِّم السمَّ ممزوجاً بالدسم، وما يثير الأسف والحسرة أن أهالى الخضراء بدأوا يأكلون الطُعم السام... اللهم استر الخضراء وأهلها من لؤم أبى الذهب... ظلَّ مرشد صامتاً فتابع محمود حديثه موجهاً كلامه إلى

مرشد: قل لسيِّدك أن حيلته لن تنطلى على أحد من أبناء الخضراء وإن كان يفكر بشراء الناس بذهبه فليفكر بغير هذا... لم ينس الناس ولن ينسوا ما فعله أبو الذهب بآبائهم وأجدادهم، حتى هـذا المولود الجديد الذى أراد شراءه وهو فى المهد سيجد من يقول له:

من لم يودّ جدَّك لن يودك...

لم يعر مرشد أى انتباه لكلام محمود، ولم يجب بكلمة واحدة. ضـاق صدر محمود وصاح بأعلى صوتـه: تكلم يا مرشد، أنطق، لماذا لا تجيب... هل أنت أبكم... تكلم أيها الصنم.

لم يرق كلام محمود لحميد فقال: اسمح لى يا أخى محمود بأن أقول لك هـذه المناسبـة ليست للعتـاب وإيقـاظ

الأحقاد الدفينة فى النفوس، أبو الذهب غيَّر سلوكه وتاب، ومرشد لا علاقة له بما حصل سابقاً بينك وبين أبى الذهب، من جهة ثانيـة ليس لك الحق أن توجِّه الإهانة لأى إنسان فى بيتى احترم حرمة الضيافة. هذا شىء لا يجوز. . . أيقن مرشد أن بذرة الخلاف قد وقعت بين حميد ومحمود فوقف مودعاً وقال مخاطباً حميد: شكراً لك على الإهانـة التى وجهت لى فى منزلك، وعلى أى حال فأنا أقبل الإهانة إذا قبلتها أنت يا أخى حميد. . . قال ذلك وخرج مسرعاً. . .

بعد انصراف مرشد نظر حميد إلى محمود وخاطبه بلهجة جافة: هل يرضيك ما سمعته من كلام .كان بإمكانك أن تذهب إلى أبى الذهب وتقول له هذا الكلام في بيته، كان بإمكانك أن تلتقى مرشداً فى

الشارع وتقول له ما تشاء. تدخل أحد الحضور وقال: إهانة الضيف فى أعرافنا تعتبر إهانة لصاحب البيت. تدخل أحد أقارب محمود وردَّ على الرجل بالقول: لا تجوز إهانة الضيف إذا كان من البشر، ومرشد وسيده ليسا من جنس البشر بل هما من الشياطين. . . أحد أقارب حميد ثارت ثائرته والتفت إلى من سبقه بالحديث وقال بصوت آمر: بيوتنا ليست مضافاتٍ للشياطين، ومن يشرب قهوتنا يكون من البشر، احترم نفسك. . .

تطور النقاش وانقسم الحضور إلى فئتين: فئة مع أبى الذهب وفئة ضده. . . ارتفعت الأصوات بالتهديد والوعيد، واختلط كلام الرجال، وطار صواب حميد عندما سمع عبارة: أبو الذهب اشتراكم بالمال. . . فنظر إلى محمود قائلاً: أخرج

من بيتى ، هذه هديتك احملها وأمشى ، ثم قذف فى وجه صديق العمر ثوباً من الحرير المطرز حمله محمود هدية للمولود الجديد. . . خرج محمود وهو يقول: الآن عرفتك يا حميد. . . الآن عرفت أن الذهب بنظرك أغلى من الإنسان. . . كان محمود يردد وهو يسير نحو بيته : لقد نجح أبو الذهب، فاز أبو الذهب. .

* * *

انتشر خبر خلاف حميد ومحمود فى الخضراء انتشار النار فى الهشيم، وانقسم الناس بين مؤيد لحميد وبين مؤيد لمحمود، قال أحد أبناء الخضراء يوماً لمحمود: أنا معك وضد حميد، أجابه محمود حميد ليس عدونا. . . عدونا أبو الذهب، حميد وغيره أدوات يستعملها هذا اللعين لتنفيذ أغراضه.

بعد أيام استدعت زوجة حميد ابنتها البكر وضحا وقالت لها:

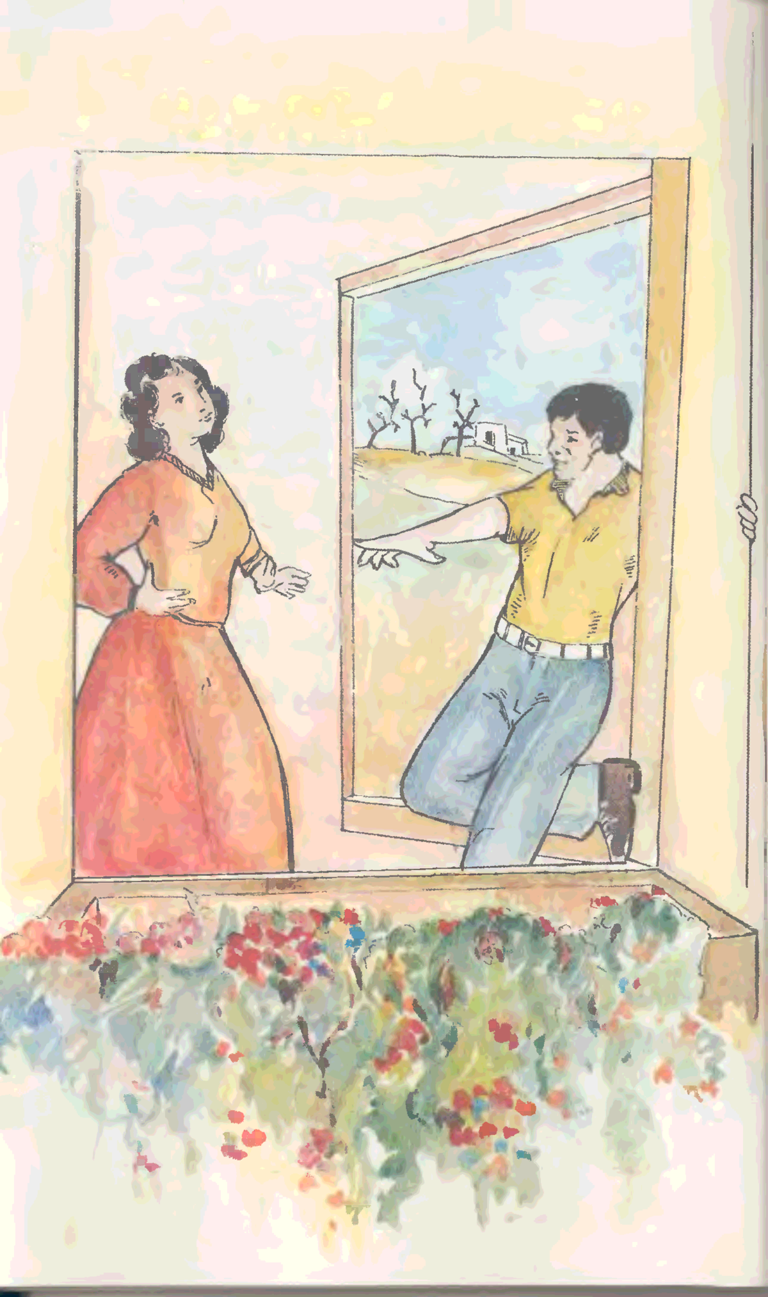
* اسمعى يا وضحا، والدك يطلب إليك فسخ الخطوبة مع خالد بن محمود، أبوك طلب إلىَّ أن أنقل إليك هذا الأمر، نفذّى أمره اليوم وفى أقصى سرعة ممكنة . . .

خالد بن محمود ووضحا بنت حميد، ولدا فى اليوم نفسه، وترعرعا يلعبان معاً، وعندما كانا فى الثالثة من عمريهما قال خالد لوالد وضحا: هل تزوجنى وضحا يا عمي حميد، ضحك محمود وحميد كثيراً، لكن وضحا هى الأخرى سألت محمود: وأنت يا عمى محمود هل تزوجنى ابنك خالد. . . بعد هذه الحادثة، اتفق محمود وحميد على تزويج

خالد من وضحا عندما يكبران. . . وقرءا الفاتحة. . . تحول حب وضحا وخالد إلى حكـايـة على ألسنـة شبـاب الخضـراء وصباياها معظم شباب الخضراء كـانوا يلتقون بفتيات أحلامهم سراً، مـا عدا وضحا فقد كانت تلتقى بخالد علناً، فى ساحة الخضراء، وخلال نزهة المساء فى الشارع الرئيسى وكانت تحرض الفتيات على لقـاء الشبـاب فى العلن وليس سراً. . .

كان والد وضحا حميد ووالد خالد محمود قد التقيا فى الشارع من دون أن يتبادلا التحية، وفى مساء اليوم نفسـه التقت وضحا بخالد، بعدما طلبت منها أمها قطع علاقتها به.

كان وجه وضحا كزهرة أدركها الصقيع



فذبلت قبل أوانها، بدت عيناها كدمعتين كبيرتين.

مساء الخير يا خالد: خرجت هذه العبارة من فم وضحا وكأنها دمٌ يخرج من جرح نازف... وتابعت بصوت يشبه الحشرجة: انتهى ما بيننا يا خالد، أحبك وسأبقى على حبى لك. لكنها إرادة القدر. سامحنى يا حبيبى... ولم تستطع حبس دمعة سقطت على خدِّها. تناول خالد منديله ومسح دمعة وضحا. ضمَّها إلى صدره وقال لها: هذه إرادة والدك، سحبت وضحا نفسها من بين ذراعى خالد قائلة: أرجوك... أرجوك اتركنى. ومضت دون أن تستطيع حبس دموعها، وما أن ابتعدت بضعة أمتار حتى التفتت إلى خالد وقالت: سامحنى يا خالد. لن ترانى بعد اليوم. إلى اللقاء يا وضحا...

قال خالد ذلك وبعدما سمع وقع أقدام، التفت فإذا القادم حميد والد وضحا. . . قال حميد: إسمع يا خالد، كنا أصدقاء وانتهت الصداقة بيننا إياك أن تعترض طريق وضحا بعد اليوم. . . سأل خالد: لماذا يا عم حميد، ردَّ حميد وهو يدير ظهره لخالد: إسأل والدك، فمن لم يودَّ جدك لن يودك. . .

بعد أيام كان محمود وحميد يعملان فى بستانيهما المتجاورين. وعلى بعد بضعة أمتار، دون أن يكلم أحدهما الآخر، حتى ودون أن يلتفت أحدهما للآخر. . . مرَّ غزال بين حميد ومحمود ولكن أحداً لم يطلق عليه الرصاص، قال محمود لـو أطلقت عليه الرصاص فسأرديـه داخل بستان حميد، ولست مستعـداً لدخـول

أرضه من أجل غنائم الدنيا كلها، وقال حميد نفس الكلام.

انتشر الخبر فى الخضراء أن الغزال يرعى بين حميد ومحمود. . . كانت حدود ملكية الأراضى والبساتين فى الخضراء اصطلاحية ، حجر أو صخرة، أو شجرة، هذه المعالم كانت تفصل بين هذا البستان أو ذاك. لكن حميد أراد قطع أى صلة بمحمود فبدأ يوضع الأسلاك الشائكة على الحد الفاصل بين البستانين. بعد أيام ذهب محمود لتفقد بستانه فوجد أن حميد اعتدى على أرضه وضم قسماً منها إلى أراضيه. حاول محمود تسوية خلافه مع حميد بشكل مباشر، حيَّاه فلم يلق جواباً، ولم يرد حميد على التحية بمثلها، لذلك لجأ محمود إلى الوسطاء وإلى حكم شيخ المحلة وقدامى الفلاحين الذين يعرفون

حدود ملكيات الأرض... جاء التحكيم عادلاً لمصلحة الطرفين المتخاصمين، فالأرض موضوع الخلاف تقسم مناصفة بين محمود وحميد لكن حميد رفض التحكيم وقال: هذه أرض أبى عن جدِّى... كان أهالى الخضراء قد أناطوا بلجنة منهم فض النزاعات حول حدود ملكية الأراضى... وكان تم الاتفاق على أن لا تكون الأرض ملكاً لأحد، بل لمن يزرعها. لكن الخلاف بين حميد ومحمود تطور ووصل إلى داخل اللجنة نفسها... وسمع صوت يقول: نعود إلى صكوك البيع والشراء التى وقعناها عندما بعنا الأرض لأبى الذهب.

***

طرق باب أبى الذهب من جديد.
كان أبو الذهب قد حدد مساحة

الأراضى التى اشتـراها من أصحـابهـا بصكوك البيع وقد بقيت هذه الصكوك فى حوزة أبى الذهب بعدما استـرد الناس أراضيهم احتكم حميد ومحمود لدفاتر أبى الذهب القديمة، وكان الحكم لمصلحة حميد، لكن محمود أصرَّ على القول: أنا الذى زرعت الأرض، وغرست الأشجار، وقد اتفقنا فى الخضراء على أن تكون الأرض لمن يزرعها، جاء ردَّ حميد أكثر تطرفاً فقال: لو لم يضم محمود أرضى إلى أرضه ويغرسها، لكنت غرستها وزرعتها. وبإمكان محمـود اقتلاع الأشجـار التى زرعها فتعود الأرض لمن ورثها، صاحبها الفعلى.

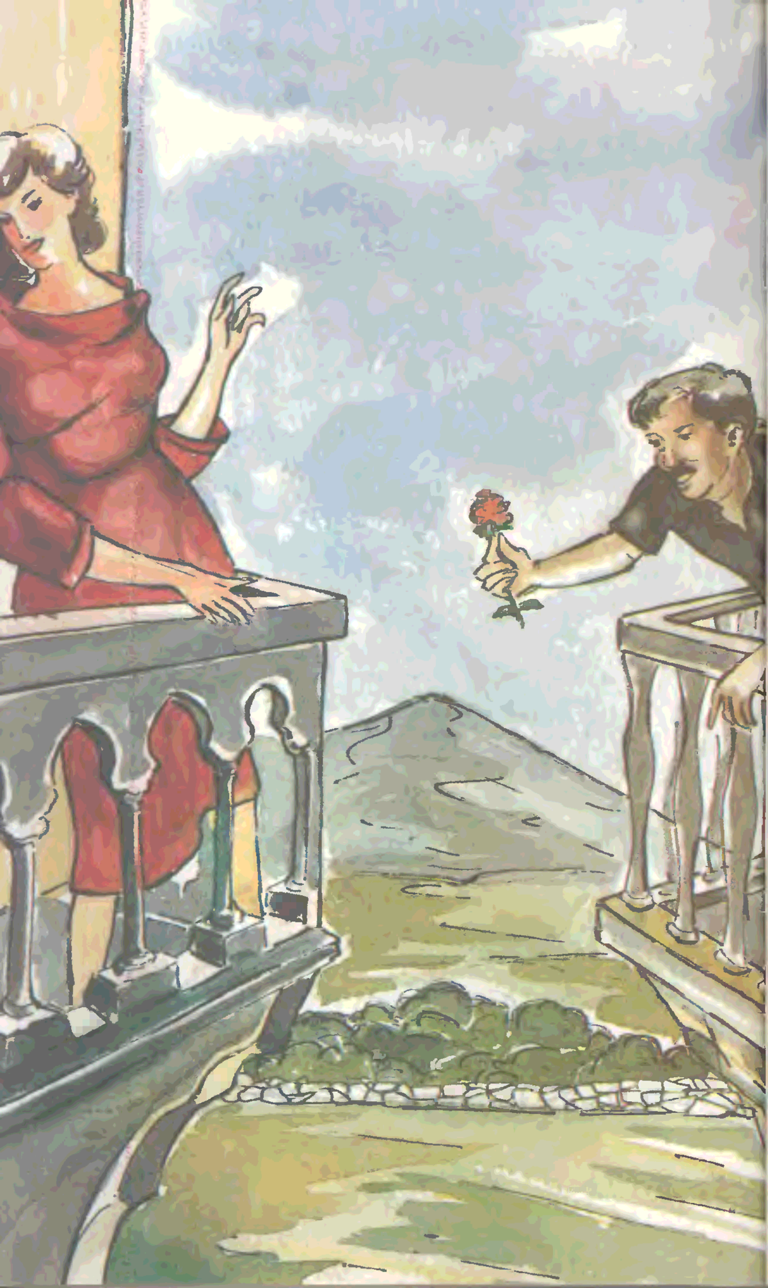
كان أبو الذهب يراقب من بعيد كل ما يجرى فى الخضراء، وكان لا يترك فرصة إلاَّ ويصبّ الزيت على نار الفتنة، وذات

مساء قال لمدير أعماله مرشد: سأحكم الخضراء كما أشاء وبإرادة ووساطة أهالى الخضراء... لقد تعلمت كيف أستطيع السيطرة على الناس، تعلمت من أخطائى السابقة، فرِّق تسد يا مرشد، فرِّق بين الجار وجاره بين الأخ وأخيه بين الابن وأبيه، بين الزوج وزوجته، وبين الحبيب وحبيبته.

كثرت الخلافات فى الخضراء حول حدود الأرض، ولم تكن بضعة أمتار من الأرض هى سبب الخلاف بين الجار وجاره والأخ وأخيه، فهذه الأمور كانت تعتبر من الصغائر فيما مضى، لكن أبا الذهب استطاع تغذية الأحقاد. بعدما سقاها من لؤمه وحقده على الخضراء وأهلها... كان تدخل أبى الذهب دائماً لزرع الخلافات. حتى إذا لمح بارقة

صلح بين متخاصمين أغرى أحدهما بالمال لينشب الصراع بينهما من جديد. . . سأله يوماً مدير أعماله مرشد: على أى أساس تحدد موقفك من المتخاصمين فأجاب أبو الذهب: ما يهمنى أن يبقى الناس منقسمين، لن أسمح لأهالى الخضراء بأن يكونوا يداً واحدة، رسمت الطريق إلى ذلك، وها هم جميعاً يسيرون عليه. . .

ظلَّت وضحا بنت حميد تقف إلى نافذة غرفتها، مقابل نافذة خالد بن محمود. منذ التقيا فى آخر مرَّة. كانت تكتفى وضحا برؤية خالد يطلُّ من نافذته فيلوح لها بيده، فتبادله التحية. وتغلق النافذة وتعود إلى تدبير أمور المنزل. كانت تعيش على أمل أن تزول الخلافات بين والدها ووالد خالد، ذات يوم وبينما خالد يقف إلى



النافذة مقابل وضحا. دخل والده وكان خالد يلوِّح بيده... قال محمود لابنه خالد: هل ما زلت على حبك لابنة حميد ألم تطلب منك أن تلغى الخطوبة، ألم يطلب إليك والدها أن تترك ابنته، وشأنها، ألست رجلاً يا خالد... عيب عليك أن تجرى وراء امرأة رفضتك خطيباً لها، أم إنك طامع بهدية من صديق والدها أبى الذهب... لم يجب خالد بكلمة واحدة، لكن نافذة غرفته لم تعد تفتح منذ ذلك اليوم. ولم تدخل الشمس إلى الغرفة فى الأمسيات.

* * *

لم يصدق حميد عينيه عندما وصل إلى بستانه فى صباح ذلك اليوم من شهر «يوليو» الخراب فى كل مكان، الغرسات اقتلعت من الأرض، والأشجار كسِّرت

أغصانها بشكل وحشى، كأن جيشاً من الغـزاة مرَّ من هنـالك وعـاث بالأرض فساداً. . . قال حميد بصوت عالٍ وأمام عـدد كبيـر من الـرجـال فى سـاحـة الخضراء. . . أنا أعرف عدوى، هـذا الذى أراد الثأر منى فقتل كل شىء أخضر فى بستانى. . . وبعد أيام كانت الأشجار فى بستـان محمـود قـد اجتثت من أصولها. . .

توالت النكبات على الخضراء، أطلقت رصاصة من مسافة بعيـدة على حصان محمود بينما كان يرعى فى المرج فسقط صريعاً. . . كان حصاناً أبيضَاً من خيرة الخيول الأصيلة فى الخضراء تلا ذلك مباشرة العثور على فرس حميد مشنوقة فى الشجرة التى ربطت إلى جذعها. . . كل يـوم يحمل خـراباً جـديـداً فى أرزاق

المتخاصمين... حقول تخرَّب فيكون الرد تخريب حقول أخرى، ناقة تنحر وتترك وليمة للكلاب والذئاب، فينحر مقابلها بعير لخصم صاحب الناقة، لكن الغريب أن معظم الذين كانت توجه إليهم هذه التهم كانوا يقسمون أنهم أبرياء، فقد أقسم محمود أمام شيوخ الخضراء بأنه لم يدخل بستان حميد ولم تمتد يده إلى غرسة أو شجرة فيه، وعندما اتهم حميد بتخريب بستان محمود، أقسم نفس القسم حتى أنه قال لزوجته، هناك طرف ثالث يغذى الأحقاد بينى وبين محمود.

فى كل مرة كان يتعرض أحد أبناء الخضراء لنكبة فى بستانه أو ماشيته أو مركوبه كان أبو الذهب يسارع إلى معارضيه ومناصريه. فعندما خرِّب بستان حميد، أرسل له أبو الذهب مبلغاً كبيراً من

المال، حملها مرشد إلى حميد وقال له: سيدى أبو الذهب يسلم عليك ويقـول لك: إن كنت بحاجة للمزيد من المال فهو مستعد لإرساله إليك... وبعد أيام فعل الأمر نفسه مع محمود، لكن محمود رفض المساعدة وقال لمرشد: قل لسيِّدك أبى الذهب، محمود لا يشترى ولا يباع.

إن كنت تحسب يا محمود أن يدى
قصيرة عنك فالأيام تنقلبُ
إن الأفاعى وإن لانت ملامسها
عند التقلب فى أنيابها العطبُ

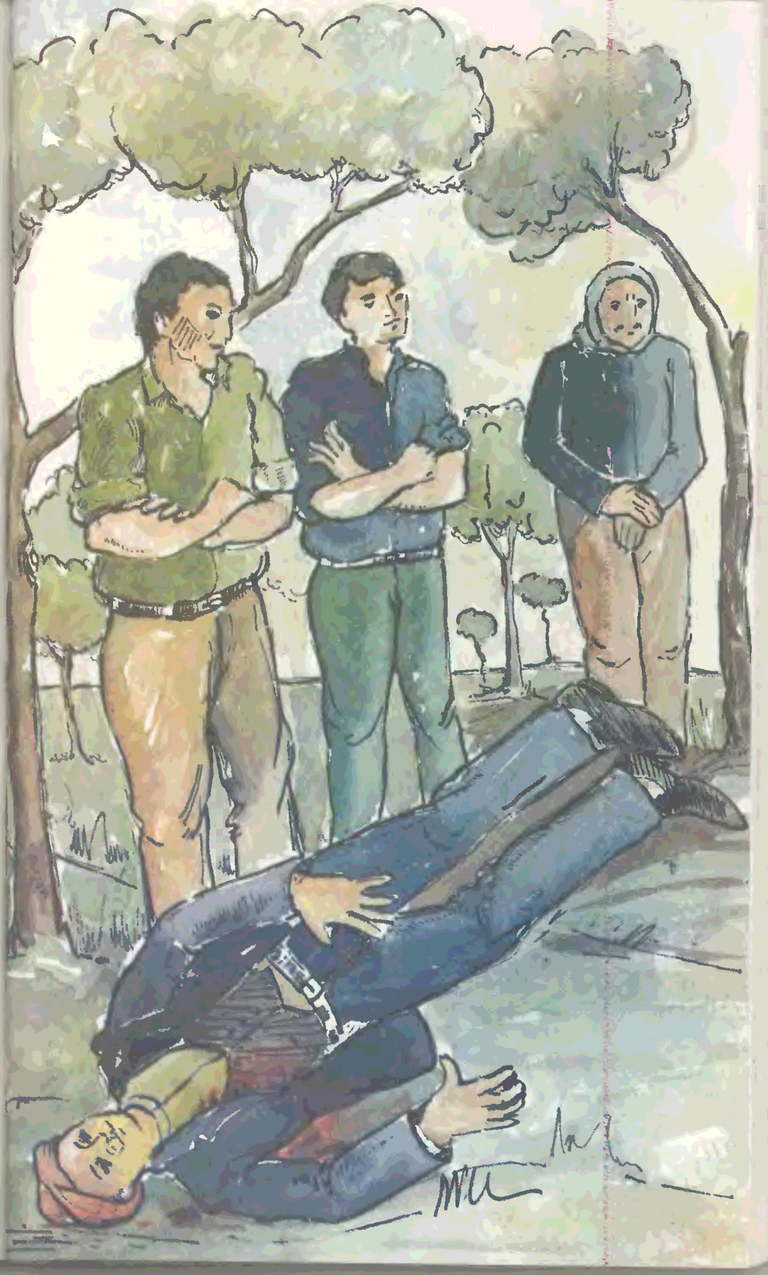
لم تستطع الأيام محو هذه الكلمات.من ذاكرة محمود. يوم قالها له أبو الذهب يوم قـال محمـود: الأرض لمن يـزرعهـا. والأرض ليست ملكاً لأحد...

* * *

لم يعرف أحد من أهالى الخضراء من الذى ارتكب تلك الجريمة، فقد وجد محمود فى بستانه جثَّة هامدة. كانت الجثَّة مصابة بعدة طلقات ومن مسافة قريبة، كان من البديهى أن توجه أصابع الاتهام إلى حميد. لكن حميد طريح الفراش، فقبل أيام حمل حميد إلى البيت غائباً عن الوعى بعدما هاجمه جمل حاقد عليه، وأشبعه رفساً وعضاً، وقد كسرت رجله ويده ونجا من الموت بأعجوبة، هذا الأمر يعرفه أبناء الخضراء جميعاً... أصر أقارب محمود وأبناء عشيرته على الأخذ بالثأر، وقالوا لا بدَّ أن يكون مرتكب الجريمة أحد أقارب حميد... كانت العلاقة بين عشيرة حميد وعشيرة محمود حسنة، وقامت بين العشيرتين عدَّة مصاهرات، حتى أن محموداً كان

يلاقي تجاوباً من أشقاء حميد، فكان إذا التقى به أحدهم بادره بالتحية والسؤال عن صحته وصحة عياله وأبنائه، وكم من مرَّة تدخلوا لفض نزاعاته مع حميد. كان خالد بن محمود يعرف هذه الأمور، سمع من أبيه مرَّات عديدة عبارة طالما ردَّدها، حميد بن عشيرة ممتازة، خير الأخوة والأقارب. لكن لا قمح من دون زُوان....

اجتمع المصلحون من العشيرتين وقرر أقرباء حميد دفع الدية حقناً للدماء، قال أخ حميد نحن أبرياء من دم محمود، لكننا سندفع الفدية حقناً للدم، وحتى لا نفسح المجال للمفسدين ليوقدوا نار الفتنة بين عشيرتينا... ثم تحدث أخ حميد الأكبر موجهاً كلامه لخالد: إعلم يا خالد إن والدك كان من خيرة رجال الخضراء، وهو



خسارة لنا جميعاً، ولكى نطوى صفحة أحقاد الماضى إلى الأبد، فلا بدَّ أن نعيد عرى وروابط الصداقة كما كـانت فى الماضى، وقبل الخلاف بين أخى حميد والمرحوم والدك أخونا جميعاً، لا بدَّ من تزويجك من وضحا ابنة أخى، خطيبتك والتى ما تزال تحفظ لك الحب والوفاء، وأنا مسؤول عن تكاليف العرس وتجهيز العروس.

كان يدرك خالد فى قرارة نفسه، أن أقارب حميد أبرياء من دم أبيه، لكنه رغم ذلك رفض العرض الأول، وهو الفدية، وسكت عن العرض الثانى... وعندما تذكر كلام أبيه عاد بعد ثانية ورفض الزواج من وضحا... تذكر خالد كلام أبيه... عيب أن تجرى وراء فتاة رفضتك خطيباً لها أم أنك طامع فى مال أبى الذهب...

مرَّت الأيام، ونافذة خالد مغلقة، وعينا خالد لا تنامان شوقاً. . .

كانت وضحا عائدة من حقل أبيها فى أول الليل، تجر أخاها الصغير الوحيد وفجأة ظهرت مجموعة من الرجال المقنعين، هاجموا وضحا. . . أخذوا الطفل وذبحوه أمام ناظريها، وفروا إلى جهة مجهولة، وفى الليلة نفسها وبعد ساعة من هذه الحادثة أطلقت النار على خالد بن محمود فأصيب إصابة خطرة أصيب بنتيجتها بشلل دائم أما وضحا فقد أصيبت نتيجة الصدمة التى تعرضت لها بالجنون. . . وحدها وضحا كانت تعلم أن خالداً برىء من دم أخيها وخالد هو الوحيد الذى كان يعرف أن أقارب وضحا وأهلها أبرياء من دمه ودم أبيه.

تكررت حوادث القتل والاغتيال فى الخضراء، حتى تحولت الخضراء إلى أرض قفراء، فقد أحس كل رجل فى الخضراء بأنه هدف للقتل، فأهمل الناس حقولهم ولازموا بيوتهم لا يخرجون إلاَّ لقضاء حاجاتهم من المأكل والمشرب، حوادِث اغتيال عديدة حدثت بقى فاعلوها مجهولين. حدث ذات يوم أن اختلف الطلاب داخل المدارس، واشتبكوا بالأيدى، ثم انتقل الخلاف إلى الخضراء فاشتبك شبابها بالأيدى والعصى والأسلحة فوقع عدد كبير من القتلى والجرحى، وحين حاول المصلحون من عقلاء الخضراء وشيوخها فض النزاعات بين المتخاصمين نالوا نصيبهم من الضرب والإهانات حتى من أقاربهم قال أحد العقلاء لصديقه: الآن عرفت معنى كلام

محمود، نعم، فاز أبـو الذهب وسقط الأهالى فى الحفرة التى حفرها لهم.

* * *

ماذا نفعل؟ إلى أين نحن سائرون؟ كيف الخلاص من هذا الجحيم، أسئلة على كل شفاه من فى الخضراء..

مرة ثانية طرق باب أبى الذهب. ماذا نفعل يا أبا الذهب! الحياة لم تعد تطاق فى الخضراء قال أبـو الذهب لأهـالى الخضراء الذين جاءوا يستشيرونه فيما آلت إليه أوضاع بلدهم: عليكم بإيجاد قوة نظامية لحفظ الأمن، وأضـاف اختاروا ممثلين عنكم يتباحثوا فى كيفية تنظيم أمور الخضراء... أجاب أحد المتقدمين فى السن: كل واحد منا يمثل نفسه والأمن مسؤوليتنا جميعاً، ولا نـريـد من يمثلنا، ضحك أبـو الذهب وقـال

بسخرية: إذا كنتم تمثلون أنفسكم، فما الذى جاء بكم إلىَّ، اذهبـوا وتدبـروا أمـــوركم وأضـــاف: تمثيلكم لأنفسكم أوصلكم إلى ما أنتم فيه من الفساد والقتل والإجرام... صاح بعض الرجال الذين عرفوا بولائهم لأبى الذهب: أبو الذهب وحده قادرٌ على مساعدتنا... من منَّا... نحن الحضور لم يتلق مساعدة من أبى الذهب...

كان ما أراده أبو الذهب، ففى ايوم الثانى عقد اجتماع حضره ممثلون عن أهالى الخضراء، وتمَّ الاتفاق خلاله على تأسيس قوة أمنية من أبناء البلد تناط بها مهمات حفظ الأمن وفض النزاعات بين المتخاصمين.

لعب أبو الذهب الدور الرئيسى باختيار هذه القوة، اختار أفرادها من أبناء أنصاره

ومعاونيه ولكنه وليبقى بعيداً عن الأضواء عين رئيسها من أحد المقربين إليه ومن عملائه السريين. . . بعد فترة وجيزة كان رجال الأمن يجوبون شوارع الخضراء وحقولها يعملون على قمع المخالفات، كانت التعليمات إلى رجال الأمن تقضى بأن يكونوا منحازين للقانون فقط، وليس للأسرة أو العائلة أو العشيرة، وأن عليهم تنفيذ أوامر رؤسائهم فقط، وكان مصدر كل أمر أبو الذهب نفسه.

بدأت القوة الأمنية بممارسة المهمات المنوطة بها، فاعتقلت بعض المخلين بالأمن العام والمشاغبين وبدأت الاعتقالات لأتفه الأسباب، كان من بين المعتقلين شاب ألقى القبض عليه ليلاً، بسبب الغناء بصوت عالٍ. . . كان الشاب يسير فى شارع الخضراء الرئيسى يعيد

لحناً قديمـاً غنَّاه أهـالى الخضراء فى انتصاراتهم على أبى الذهب. . . ألقى القبض عليـه بحجـة إقـلاق راحـة المواطنين.

رفعت لافتة على باب مخزن الحبوب تـحمـل عـبـارة «سجـن الـخـضـراء الجديد». . .

لم يكن أهالى الخضراء قد عرفـوا السجن من قبل. . . كان شيخ القبيلة هو الحكم فى المنازعات والخلافات، كان يمثل أخلاق الجماعة ويمون على جميع أفراد قبيلته أو عشيرته، حتى إذا قام أحد أبنـاء القبيلة بعمل يسىء إلى أخـلاق الجماعة، حكمت عليـه القبيلة بالنفى ورفعت عنه حمايتهـا، فيصبح مهـدور الدم. ويقضى حياته غريباً خائفـاً. . .

الغربة والخوف الدائم، أكبر قصاص يمكن أن يلقاه المذنب هكذا كانت الأحكام قبل أن ترفع لافتة «سجن الخضراء الجديد».

«العدل أساس الملك» عبارة أخرى رفعت فى إحدى قاعات قصر أبى الذهب.

قال أبو الذهب لمرشد: لكى أؤسس ملكى الذى أحلم به لا بدَّ من تدمير العلاقات جميعها. علاقات الأسرة وعلاقات العائلة والعشيرة والقبيلة، ولن أسمح لأهالى الخضراء بحل أى مشكلة خارج هذه القاعة. أصبح أبو الذهب المرجع لشكاوى أهالى الخضراء. . . هذا يشكو اعتداء جاره على أملاكه، وذاك يسأل عن ابنه الذى أودع السجن. . .


سجن الخضراء الجديد
(مخزن الحبوب سابقا)

وعن المدَّة التى سيقضيها، والجـواب واحد. . . بعد التحقيق والمحاكمة.

* * *

محكمة. . . بدأ المتهمون يمثلون أمام محكمة أبى الذهب

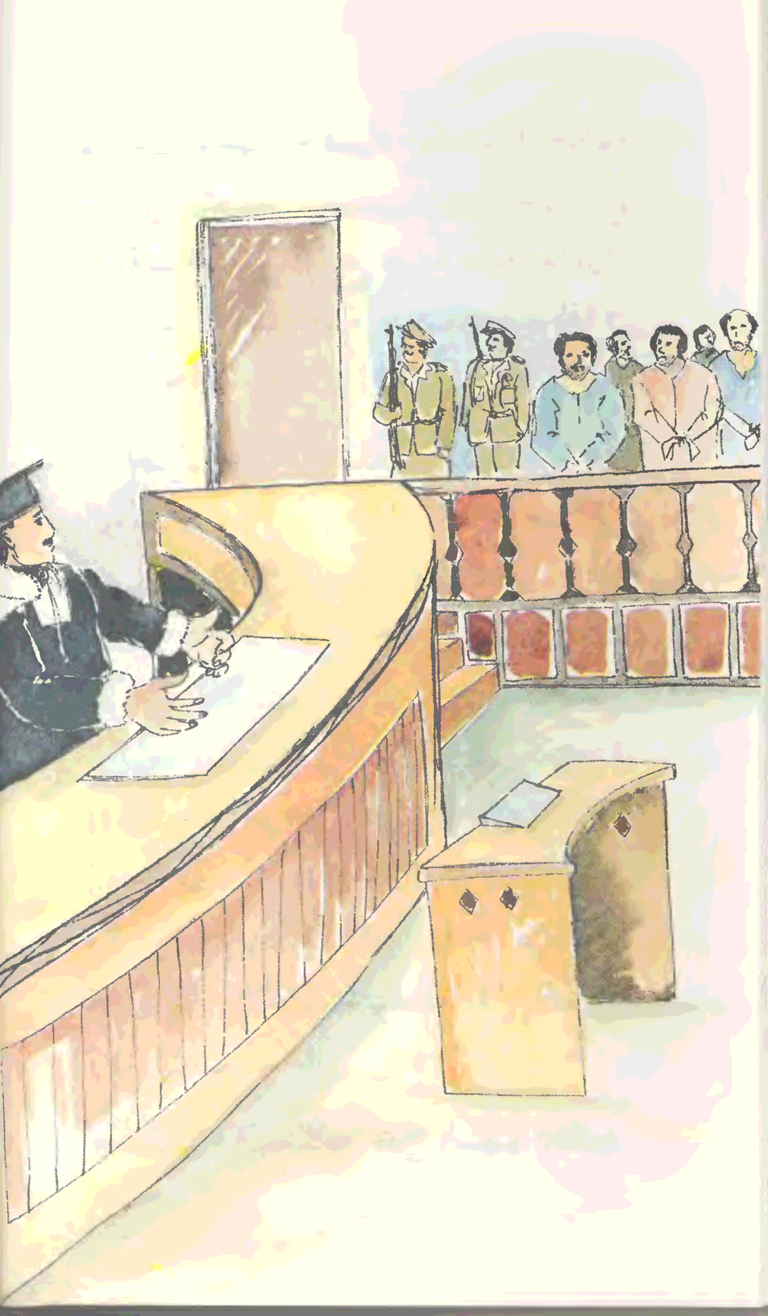
* دخل المتهم الأول
* لماذا كنت تغنى فى ساعة متأخرة من الليل، ألا تعلم أن فى ذلك إقلاق لراحة الآخرين؟
* لم تكن الساعة متأخرة. كان الليل لا يزال فى أوله. ثم أن أحداً من أهالى الخضـراء لم يعتـرض على غنـائى تذكرت الأيام الجميلة التى عشناها فى حب ووئـام وأشجانى الشـوق إليهـا فطربت وغنيَّت.

وقف أحد رجال أبى الذهب وقال:

* باسم شعب الخضراء حكمت المحكمة على المتهم بالسجن لمدة شهر مع وقف التنفيذ. ودفع غرامة مالية مقدارها ثلاث ليرات ذهبية وذلك بسبب إقلاق راحة الآخرين. . .

اعترض الرجل قائلاً: أنا أرفض هذا الحكم، إننى أعترض، أنا موجود فى السجن منذ ثلاثة أشهر، وإن كنت استحق السجن لمدة شهر واحد. فلماذا قيِّدت حريتى ثلاثة أشهر أنا لم أقلق راحة أحد، يا أبناء الخضراء من منكم يتهمنى بإقلاق راحته. . . أم إننى سجنت لأننى كنت أزرع الفرح، وأذكر الناس بأيام الحب والوئام. وهذا ما أقلق راحة دولة أبى الذهب. . . ثارت ثائرة القاضى المزعوم وصاح بصوت عالٍ:

* حكمت المحكمة على المتهم بالسجن



لمدة ستة أشهر بسبب توجيهه الإهانة
إلى الدولة والشك فى عدالة القضاء،
ينفذ الحكم فوراً.

دخل المتهم الثانى.

* لماذا سمحت لقطعانك بالدخول إلى حقول الآخرين، فهذا اعتداء على أملاك الغير وهو مخالف للقانون.
أجاب الرجل.

* عندما تدخل المواشى إلى حقل، فهى لا تستأذن الراعى، وهى لا تفهم بالقوانين، ثم إن صاحب الحقل لم يقدّم أى شكوى بحقى. أجاب القاضى المزعوم:

* إن تنازل صاحب الحق، فإن الحق العام يبقى قائماً، وإن تراضيت أنت وصاحبك، فإن العدل لا يرضى...

باسم الشعب: حكمت المحكمة على الجانى بالسجن لمدة أسبوع وتغريمه خمس ليـرات ذهبية... لم يجـرؤ الرجل على الاعتراض بعدما رأى ما حلَّ بمن سبقه بالاعتراض... قبـل الظلم على مضض.

دخل المتهم الثالث

* لماذا كنت تحتفظ بسلاحك بعد صدور قرار جمع السلاح من أهالى الخضراء، أنت متهم بالتآمر على سلامة الدولة، رجال الدولة يسمح لهم بحمل السلاح فقط، لا بدَّ أنك كنت تفكر باستعمال السلاح ضد أحد أبناء الخضراء.

* كنت أحتفظ بالسلاح، لأن السلاح من حق الجميع. وليس حكراً على فئة دون أخرى. كنت أحتفظ بالسلاح للدفاع

عن نفسى. ضد الظلم والظالمين. ضد الغزاة والمستعمرين.

* هناك قوة نظامية أنيطت بها مهام حفظ النظام. وأى سلاح آخر هو للاعتداء على أمن الجميع باسم الشعب فى الخضـــراء حكمت المحكمـــة على المخالف بالسجن لمدة ستة أشهر. ودفع غرامة مالية مقدارها عشر ليرات ذهبية ومصادرة سلاحه... وفى حال امتناعه عن دفع المال يقضى مدَّة فى السجن كبدل عن المال.

أدخل الرجل الرابع.. [قلَّب القاضى المزعوم أوراقاً كانت أمـامه، ثم أعـاد تقليبها مراراً. فبدا مرتبكاً لكنه سرعان ما رفع رأسه] وقال للمتهم: لماذا أنت فى السجن؟

* لا أدرى. ألقى القبض عليَّ وأدخلت السجن مع خمسة من أبناء الخضراء، كان ذلك فى اليوم الذى تاهت فيه ناقة أحمد ابن محمد، عادت الناقة إلى أصحابها بعد أيام من إلقاء القبض عليَّ وعلى الخمسة الآخرين. مضى على وجودنا فى السجن سنة، من دون أن يسألنا أحد لماذا أنتم هنا...!

* باسم الشعب حكمت المحكمة ببراءتك.

* والمدة التى قضيتها فى السجن مسلوب الحرية.

* عند تطبيق العدالة لا بدَّ من وقوع أخطاء تؤدى إلى ظلم بعض الأبرياء...

* كلنا أبرياء... وأنت المجرم الوحيد لأنك وسيدك أبو الذهب وزبانيته تقتلون

الخضـراء وتغتالـون الحب والحريـة ووحدة الناس فيها. . .

* باسم الشعب فى الخضراء، حكمت المحكمة على المتهم بالسجن ثلاث سنوات. . .

* * *

«دائـرة الإحصاء والضـرائب» لافتـة جديدة رفعت فوق مكتب أبى الذهب القـديم. كل الـذهب الذى وزعـه أبو الـذهب على أهـالى الخضـراء خـلال سنوات أخذه منهم فى شهر واحد. . . ضرائب على كل شىء ضـرائب على الأرض والمنـازل والمواشـى والصحـة والتعليم وكل يوم يحمل ضريبة جديدة. ومن يتخلف عن دفع الضرائب يزج به فى السجن. . . والأمـوال التى تجمـع من

أهالى الخضراء تـذهب إلى الخزينـة، ومفـاتيـح الخـزينـة فى حـوزة أبى الذهب. . .

باسم الشعب زوراً وبواسطة زمرة قليلة من أبناء الخضراء استطاع أبو الذهب السيطرة على أهالى الخضراء، التاريخ يعيد نفسه! . . . قال ذلك أحد أبناء الخضراء لجاره وهو يلتفت خوفاً من أن يسمع أحد كلامه فيلقى به فى السجن وأضاف: عاد الظلم والحاكم الظالم. فى الماضى كنا نواجه رجلاً بعينه، أما الآن فإننا نواجه بعضنا البعض. . . الحاكم الظالم غير محسدٍ هذه المرَّة فى شخص بعينه إنه القانون. . . قانون دولة أبى الذهب وليس أبى الذهب نفسه والظلم يمارس على الشعب باسم الشعب.

* * *

كان أهالى الخضراء يعيشون صدمة الفوضى التى عصفت بهم. ويتذكرون مستنقعات الـدم والجرائم التى ارتكبت بـالخضـراء والتى بقى مقتـرفـوهـا مجهولين... القتلة الحقيقيون لم يسجن أحد منهم... من المسؤول عن جنون وضحـا... وشلل خالـد؟ لمن تجمع الأموال والضرائب من أبنـاء الخضراء؟ باسم أى شعب يسجن الأبريـاء ويغرَّم الفقراء؟ من وضع المسؤولين في موقع المسؤولية؟. من هم الرجال الموجودون فى قصر أبى الذهب؟ أى عدل هذا؟

هذه الأسئلة وغيرها بدأت تراود أبناء الخضراء...

أفاقت الخضراء على قصاصات من الورق وزعت فى أحيائها تحمل عبارات:

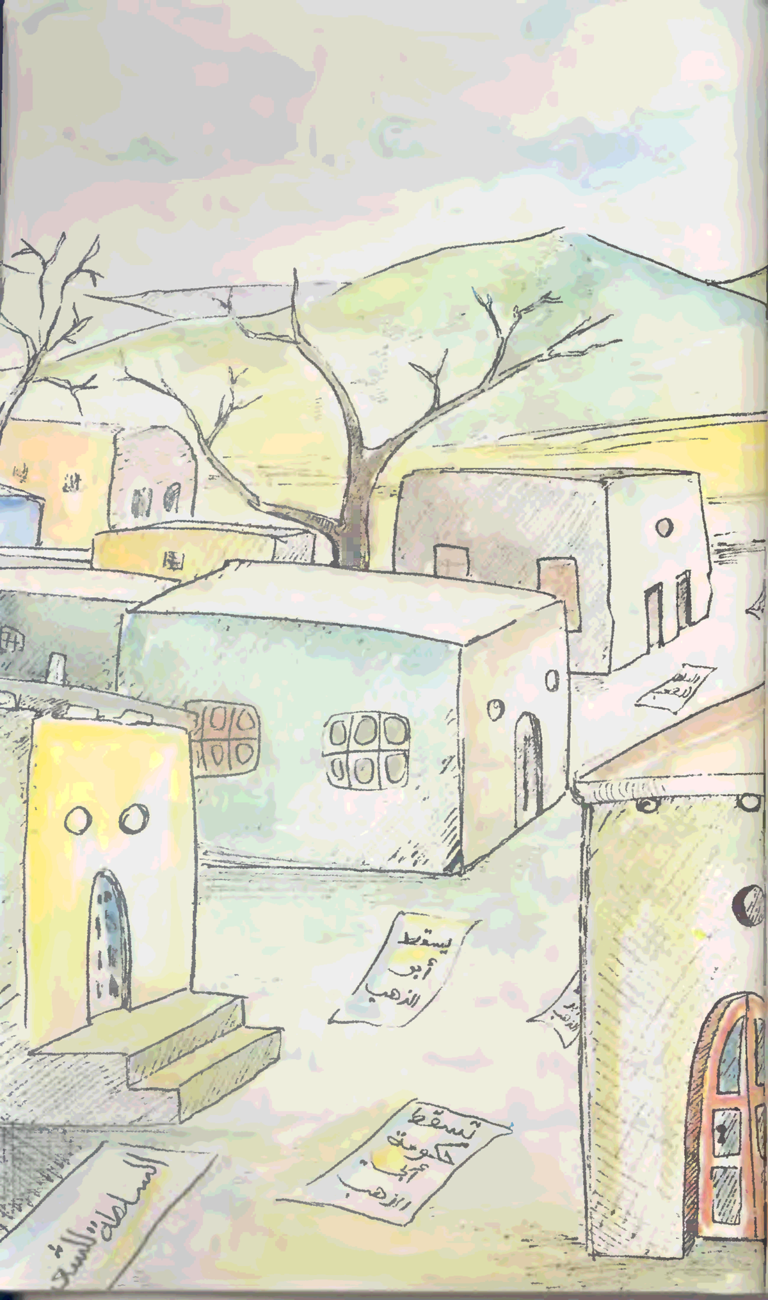
تسقط دولة أبى الذهب
الشعب هو صاحب الحق بإصدار الحكم...
الشعب كله مصدر السلطة
لا سلطة فوق سلطة الشعب
يا أهالى الخضراء.. امتنعوا عن دفع الضرائب

قرأ أهالى الخضـراء هذه العبـارات بارتياح كبير... وبدأوا يجهرون بالرفض لبعض أوامر أبى الذهب.

قال مرشد لسيده أبى الذهب: أفاق أهالى الخضراء من سبـاتهم، والحرب أولها الكلام. أجاب أبو الذهب:

لم تزل نار الفتنة والانقسام تحت الرماد وباستطاعتى إشعالها متى شئت.

تكرر توزيع المنشورات السياسية التى



يسقط أبو الذهب
تسقط حكومة أبي الذهب
السلطة للشع

تهاجم دولة أبى الذهب، وامتنع البعض عن دفع الضرائب. فحملوا عنوة إلى السجن... وفى صباح أحد الأيام قرأ أهالى الخضراء نداءً موجهاً إليهم:

يا أبناء الخضراء، يا من كسرتم قيود العبودية والذل والهوان، إكسروا باب السجن وحرروا السجناء... الخضراء هى الحرية والعطاء. وليست العبودية والظلام.

كان ذلك نذير بالثورة الشعبية. لكن أبا الذهب عرف كيف يزرع الفتنة ويفرِّق بين أبناء الخضراء... فى صباح اليوم التالى سمع أهالى الخضراء بياناً يذكّر باغتيال محمود وبعد يومين قرأوا بياناً يدعو للثأر من قتلة الطفل ابن حميد. وفى اليوم الرابع قرأوا بيانات تحذر من أن هناك من

يريد العودة إلى الفوضى وسفك الدماء باسم الحرية والشعب. . .

قام بعض الشباب فى الخضراء بتوزيع منشورات تدعو إلى مؤتمر شعبى عام. وقد قوبلت هذه الدعوة بالاستحسان والترحيب من قبل معظم الجماهير الشعبية فى الخضراء. قال أبو الذهب لمرشد: هذا هو الخط الأحمر الذى لا يجب أن يتجاوزه أهالى الخضراء. . . فرِّق تسُدْ يا مرشد.

نزلت تظاهرة من أنصار أبى الذهب إلى الشوارع. تهتف بحياة أبى الذهب ودولته. وخرج معارضوا أبى الذهب بتظاهرة ينادون بمؤتمر شعبى وبسلطة الشعب. . . حصلت المواجهة بين المتظاهرين. سقط بعض القتلى

والجرحى تدخلت دولة أبى الذهب. . .
وصدر البيان التالى:

يا أبناء الخضراء. إن ما جرى فى الخضـراء هو مؤامـرة على قلب نظام الحكم وتقويض أسس الدولة وهو مضر بمصلحة الجماهير الشعبية، لذلك قررت الدولة إعـلان حالـة الطوارئ. تمنـع الاجتمـاعـات والتـظاهـرات وتـوزيـع المنشورات. وتخضع الصحف للرقابة، على أن تقام انتخابات بعد ستة أشهر، يتم فيها انتخاب ممثلين عن الشعب، لتأسيس المجلس النيابى.

التوقيع: رئيس الدولة: أبو الذهب.



500 درهم ليبي او ما يعادله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - 45594
مبرق: 20032 - 20668 GREEN BOOK
ص.ب: 4491 ـ طرابلس ـ الجماهيرية